# الملاحظة والذكاء

## عند الاطفال

بقلم : الاستاذ زكي حسن

الملاحظة والذكا الا مظهران من مظاهر النشاط الذهني والتفوق الفكري في أدمغة البشر وعقولهم. ولاشك أن ذوي الملاحظة والذكاء هم المتفوقون على اقرانهم ولداتهم في الحياة. لانهم يحسنون تصريف امورهم الحيوية ويتقنون حل المشاكل والمصاعب التي تعتورهم. كما انهم مفلحون في تنظيم اعمالهم ومناهجهم. يعرفون كيف يستفيدون من الزمن وينتهزون سنوح الفرص لاستثمار مواهبهم وفعالياتهم والانتفاع بعلومهم وفنونهم. كيف لا وقد استطاع هؤلاء أن يكشفوا للعالم عن الحقائق العلمية ويستنبطوا المخترعات والقوانين الطبيعية ويقلدوا الطيور في طيرانها ويحاكوا الاسماك في خوض المياه والمحيطات وبنوا معالم الحضارة وشيدوا صرح المدنية ؟

مامن إنسان على وجه البسيطة الا وقد اوتي مقداراً من الملاحظة والذكاء. وهما يخبوان ويتوقدان بمقدار تمرينهما واستعمالهما. فمن الناس من اهملوا ذكاءهم وتغافلوا عن ملاحظة مايحيط بهم. فهم لايوجهون انفسهم الى الحياة الدنيا ولا يتبصرون في امور العالم ومظاهر الكون بما فيه من صور واشكال واوضاع واساليب. بينما نجد هناك من اوتوا نصيبا من الذكاء كبيراً فلا تمر بهم الاشياء دون ان يفطنوا اليها ويدركوا كنهها ويسبروا أغوارها. فهم كالمصابيح النيرة تشع وتضيء وتكشف عما حولها من اسرار وخبايا ومجاهيل.

ورب احد يتساءل مستفهما : من ارشد « ماركوني » الى اختراع « الراديو » ؟ واي شيء دفع « أديسون » الى اختراع السينما الناطقة والمصباح الكهربائي ؟ وما هو الحافز الذي هدى « نيوتن » الى قانون الجاذبية : و « جمس وط » الى قوة البخار ؟ فالجواب : هو الذكاء والملاحظة ليس إلا !!

ان هذه الحقائق التي اخرجها هؤلاء العباقرة الأذكياء عن الغيب الى الوجود لابدان عرضت لكثير من الناس ومرت على بصائرهم وحواسهم. ولكن احداً منهم لم يدركها بذكائه ولم يستوعبها بملاحظته. لأن الذكاء كان يقصهم والملاحظة كانت تعوزهم وعقولهم كانت تفتقر الى عنصر التفكير العميق والتأمل الدقيق والملاحظة القوية.

ولنعد الى المدرسة ذلك المجتمع الغفير الذي يمثل الحياة بصورة مصغرة. وهو على غضارته يزود المجتمع الكبير بافراد مثقفين يعول على كفاياتهم ويعتمد على مواهبهم ونشاطهم. لذا كان لزاماً على من يتولى ادارات المدارس ومعلميها ان يكونوا من ذوي المواهب والذكاء. لأن الطفل يتأثر بمواهب وذكاء اساتذته يتطبع بطابع معلميه ويحذو حذوهم في كفاياتهم وثقافتهم. أما « ١ » الصفوف التي يديرها المعلمون فهي لاتخلو من الاطفال الذين حبتهم الطبيعة بقسط عظيم من قوة الملاحظة والذكاء. وهم بلا شك موضع سرور المعلم ومحل اعجابه، وليس هذا معناه ان المعلمين يجب ان يتجهوا بهذه الفئة اهتماماً كبيراً ويتركوا الكسالى البلداء عرضة للجمود الذهني والخمول النفسي. وإنما يجدر بهم ان يحملوا الجميع على كسب المعرفة وربح الثقافة. فالمعلمون الناجحون هم الذين يربون تلاميذهم تربية صحيحة ويوجهونهم الى التفكير السليم. فلا يحشون ادمغتهم بالامور التافهة ولا يلقنونهم معلومات جافة تربي فيهم الجمود الذهني والتقليد الأعمى. وعليهم ان يكونوا على اتصال وثيق بتلاميذهم كي يكشفوا عن مواهبهم ويسبروا غور ذكائهم ويفتحوا امام ابصارهم آفاقاً جديدة مشبعة بدقة الملاحظة وبسعة الخيال وذلك بسرد الحكايات على مسامعهم ذ تلك الحكايات المستنبطة من تأريخنا القومي. فهي تحبب اليهم الوطن والفضيلة والاخاء وتغرس في نفوسهم الجرأة والشجاعة وتحرك فيهم حب الاستطلاع وتفسح لهم المجال كيف يستعملون حواسهم وكيف يثيرون اهتمامهم. لو استطعنا ان نعلم

---

(١) حبذا لو كان الكاتب قد استخلص لنا من بين تجاربه الكثيرة طريقة بيد اجوجية تعضد معلمي الصفوف الاولى على كيفية تحديد الفروق الفردية عند الاطفال، وعن كيفية تسويتها فيهم، لاسيما وقد اصبحت هذه المعضلة فاشية في معظم مدارسنا حتى لقد اصبحت مقياساً لدى المفتشين يقيسون عليها مدى نجاح المعلمين واخفاقهم في سياسة التربية والتعليم.

« البيان »